ذكريات وأسرار

شباب الشيطنة أو شيطنة الشباب

من حديث فكاهي جرى

لسعادة شيخ العروبة أحمد زكي باشا

الشاب أحمد زكي افندي مترجم مجلس النظار في عام ١٨٩٢ ـ رئيس الوفد المصري في مؤتمر المستشرقين بلوندرة ، يطلب العلم ولا ينسى أن يطرح الشبكة للصيد ـ أحمد زكي بك رئيس أقلام مجلس النظار سنة ١٨٩٤ ، يذهب الى جنيف رئيسا للوفد المصري في مؤتمر المستشرقين ـ أحمد زكي بك سكرتير ثاني مجلس النظار في سنة ١٩٠٠ ، يسافر الى المعرض العام في باريس ، فيجد « كل الصيد في جوف الفرا » ـ شيخ العروبة أحمد زكي باشا يتأنق ـ منذ سنة ١٩٢٨ ـ في بناء بيت لله اسكن بحسن الله له الختام بعد سنين وسنين ان شاء الله.

لست أزعم أن شيخ العروبة ، وعلامة الشرق الأستاذ «أحمد زكي باشا» نكرة فأعرفه ، أو مجهولا من القراء فأقدمه ؛ كذلك لا أزعم أن بحوثه التاريخية المجيدة ، أو دراساته اللغوية الطريفة ، أو مراحل حياته المملوءة بجلائل الأعمال ، مفتقرة إلى التنبيه عليها ، أو الاشادة بها ، أو الارشاد إليها .

وإنما أزعم لك أن «زكي باشا» الشيخ الوقور ، وصاحب السن المتقدمة ، والعالم الجليل ذا الطود الشامخ في العروبة ، والقدم الراسخة في العربية ، كان في باكورة شبابه فتى جريئاً بكل معاني الكلمة ؛ وكان يقضي حق الشباب ، كل حقوق الشباب ، أنى أتيحت له الفرصة ؛ ثم يسرح للصيد ، أيان ساقه الهوى أو الهواء ، فيفوز بالغنيمة كما يختار .

ولست أشك في أنني أفجؤك ـ أيها القارىء العزيز ـ بهذا الذي أزعم مفاجأة ، بل لست أشك أنك ستتهمني بالمغالاة في قولي ... لكنني أرجو أن تتريث ، وأن تعلم أن « زكي باشا » على جلال شيخوخته ، وسعة علمه ، وعظيم مكانته ، وعلى ما يحمل من تقديس للعربية والعروبة ، إنما هو غير « أحمد زكي أفندي » رئيس منـدوبي الحكومة المصرية في مؤتمر المستشرقين الثامن المنعقد في لوندرة عام ١٨٩٢ م ، ثم في جنيف سنة ١٨٩٤ م ، وغير « أحمد زكي بك » الذي أصدر لنا في سنة ١٩٠٠ كتاب « الدنيا في باريس » ، ووصف فيه معرضها العام .

أرجو أن تعتقد ذلك ، وإلا فاستمع إلى هذه القصة الجريئة التي قصها علينا الباشا في أحد مجالسه الحافلة بالأصدقاء من العلماء والأدباء .

وتسألني كيف استطعت استخراج أسرار شيخ العروبة فى شبابه ؛ فاعلم إذن أن نشاط الباشا ، ومقدرته على العمل ليلا ونهاراً ، تجعله يعتقد أنه لا يزال فى سن الفتوة ... فتراه يغضب إذا ما اجترأت عليه ، وقلت له : إنه شيخ،أو شيخ العروبة.وتراه يرضى كل الرضا ، وتروح سنه ضاحكة،وينطلق وجهه بالبشر والفرح والايناس،إذا خاطبته بأنه فتى العروبة ... وقد استدرجته من هذه الناحية الضعيفة فيه،إى والله ! استدرجته بلباقة حتى جعلته يقول لى:

شباب وفتوة

أراك يا فتى العرب مشرد الذهن،موزع الفكر،مضطرب اللب،تستشعر الخوف من الغد، وتضطرب من ذكر المستقبل ؛ وتلك سياسة لا أرضاها لك، ولا لأمثالى من الشبيبة العربية ! نحن نريدكم عدة للأمة ، وقوة للشعب . ولن يتحقق هذا الأمل ، ما لم تلاقوا الحياة هاشين باشين ، وتقابلوا عواصفها فرحين باسمين ، وتقاوموا أعاصيرها بقلوب قوية ، ونفوس وثابة ، وروح مشبعة بالصفاء ، مؤمنة بالحق والقوة والجمال .

ألا إن أيامكم عليكم معدودات ، وأمنياتكم فى الدنيا محصورات . ألم تسمع قول المعرى فيلسوف الشعراء ، وشاعر الفلاسفة :

وما بعد سن الخمس عشرة من صبا ولا بعد سن الأربعين صباء ؟

بل ألم تسمع قول صفى الدين الحلى :

حق الصبا دين عليك ، فوفه بالأنس بين خلايل ورداح ؟

أجل ! إن الحياة لأضيق من أن تتسع لهذا التبرم أو ذاك التزمت . ولهذا لا ترانى أتعرف إلى الهم ، أو أدع الأحزان تتلمس إلى نفسى سبيلا ، أو أترك الأوهام تتحسس من قلبى دخيلا . وقد كنت ، وأنا فى فجر العمر وضحوة الصبا ـ أعنى فى الرابعة والعشرين ـ كما أنا الآن ، مملوءاً صحة ، وعافية ، وقوة ، وفتوة . وكنت ـ إلى ذلك ـ أبسم للحياة ، واستهتر بالدنيا ، وأسخر من المتشائمين .

فلسفة الشباب ...

سألته : ما عهدناك متفلسفاً ولا متصوفاً،بل باحثاً متعمقاً؛فمن أين،وإلى أين،وكيف تتحدث بهذه الفلسفة ؟ فقال :

كانت لى فى هذه الباية فلسفة طريفة . فقد كنت أفترض دائماً أن الدنيا مرحة هانئة ، فينانة سرحاء . وارفة الظلال . فلا أنظر إليها نظر أولئك الذين عجزوا عن إدراك كنهها ، والتعرف إلى مكنوناتها . بل كنت أغالط عقلى بعقلى،فأنتزع البرهان من نفسى لاقناع نفسى

بأن الدنيا تساوى الآخرة ؛ أليس الله تعالى قد سوى بينهما ؛ فقال لنا على لسان محمد بن عبد الله نبيه العربى الكريم : « ربنا آتنا فى الدنيا حسنة ، وفى الآخرة حسنة » ؟

هكذا كان خيالى ، وهكذا كانت فلسفتى ، بل فلسفة الشباب ؛ فكنت أنتهز الوقت ، وأهتبل الفرصة ، وأتملك الزمن قبل أن يتملكنى بحادثاته وصروفه ... بل قبل أن تعصرنى أعاصير الحياة عصراً ، وتصهرنى آلام الدنيا الدفينة فى بوتقتها صهراً ...

وهنا استوقفت الباشا ، وقلت له : إنك تشير فى كتاب رحلتك إلى أوربا « السفر إلى المؤتمر » إلى أشياء ستذكرها بالتفصيل فى كتاب آخر وما رأيناه ، فهل وفيت بوعدك ؟

فقال : إن ظروف الأحوال وأعمال الوظيفة قد حالت دون المرام .

فسألته أن يفضى إلينا بشىء من ذلك ، فقال :

حباً وكرامة ، وسأذكرها بالرغم من أنفك يا خبيث ، ولو أدى ذكرها إلى خجلى من نفسى وأمام قراء مجلتك الذين أجلهم وأعتذر إليهم مقدماً .

بين لندرة وباريس

والآن فلأرجعن بك إلى عام ١٨٩٢م ، حيث كنت فى الرابعة والعشرين من العمر فى وظيفة « مترجم مجلس النظار » ؛ أوفدتنى الحكومة المصرية إلى لوندرة لحضور مؤتمر المستشرقين السابع ، ومعى المرحوم الشيخ محمد راشد إمام المعية السنية ، والدكتور فولارس ناظر الكتبخانة الخديوية ؛ فتعرفت بأوربا ، وبما فى أوربا ، وبمن فى أوربا ؛ وارتبطت بنفر جديد من علماء المستشرقين فى إيطاليا ، وفرنسا ، وإنكلترة ، وإسبانيا ، والبرتقال .

وبعد ذلك بسنتين ، أرسلتنى الحكومة الخديوية على رأس الوفد المصرى إلى مؤتمر المستشرقين الثامن المنعقد فى عام ١٨٩٤م بمدينة جنيف بسويسرة ، ومعى زميلاى فى المدرسة المرحومان عمر بك لطفى وكيل مدرسة الحقوق ، وأحمد شوقى بك أمير الشعراء .

فبعد أن فرغنا من المؤتمر ، ذهبت إلى بلجيكا ، وفرنسا ، وإنجلترا ؛ وانتهزت الفرصة لامتاع النفس والقلب والفؤاد بكل ما فى لندرا وباريس ، من متع ، ومسرات ، وظلت أعبر (المانش) بين العاصمتين الكبيرتين إحدى عشرة مرة ، دون أن يصيبنى دوار البحر ، أو ينالنى منه سوء ؛ ولم يكن جل همى من تلك الرحلات ، إلا الاستزادة من العلم ، والتوسع فى البحث ؛ على أنى فيما بين ذلك ، كنت لا أضن على نفسى بما تصبو إليه من التطلع إلى كواكب الجمال ، وجمال الكواكب ، فى كوكبنا السيار فى ذيلك الفلك الدوار .

وقد كنت تعرفت أثناء زيارتي السابقة للوندرة بأسرة كريمة ، متوسطة الحال ، لكنها شريفة السجايا،شرقية الخصال ؛ فأضافوني على الطريقة المألوفة عندهم؛ في نظير جنيه انكليزي واحد عن الأسبوع الكامل .

كانت ربة البيت تدعى (مسز براي) ، تستقبل زوارها وزائراتها في مساء الثلاثاء من كل أسبوع . فقدمتني في حفل جامع إلى سرب من الآنسات ، وحور من الظباء فتسكات ؛ تاه فيها لب الليث المصري ، وثاني أبي خراش العربي[١] ، وجرت في عروقه دماء عربية شرقية؛ وكان لكلمة مصري Egyptian أثرها الساحر ، وسحرها الآسر ؛ فقد أوحت إلى نفوس المجتمعات والمجتمعين حشداً من الخيالات الرائعة عن قدماء المصريين ؛ بل كانت كافيـة لأن تلهمهم عظمة (خوفو) ، وجلال (رمسيس الثاني) ، وأنف (كليوبطرة) الذي فتن العالم بجماله فشطره شطرين،وحول تياره الجارف من الشرق إلى الغرب،ومن الغرب إلى الشرق ؛ بل كانت تسبق إلى مصر الخالدة ـ يا فتى الشباب ـ كافية لأن تلهم القوم مشاعر النفس المصرية، وما وصمت به من تهم خرقاء ، أقلها تهمة الكهانة ، ومعرفة الضمير والمستقبل .

قالت آنسة من الآنسات ـ وقد أخذها سحر المصري الوافد ـ : وإذاً فأنت مصري يا « إجيبشيان » مثل « جبسس Gypsis » ؛ على معرفة تامة بعلم الكف .

فما هو إلا أن طنت في أذني هذه النغمة الناعمة ، حتى أخذتني أخذ عزيز مقتدر ؛ فأجبتها في لهفة وشغف : « أجل . . . أنا مصري ، ولكن بمعنى Egyptian فقط » . فقالت : هذا تواضع مشكور .

ثم بادرتني بأن بسطت لي يمناها لا للتقبيل ـ يا خبيث ! ـ ولكن لقراءة (البخت) . فانتهيت إلى كفها بسطاً وقبضاً ، وتقليباً وغمزاً ، وحساً وجساً ، وصرت أنتقل من البنان إلى الراحة؛ ومن المعصم إلى الذراع ثم إلى المرفق. وهكذا ظللت أقلب في هذه العروق المكسوة، وأترسم ذلك الدم ـ الأزرق القاني معاً ـ أستلهمه وأستوحيه ، وأواجهه وأناجيه ، دون أن تفلت تلك اليد البضة من مخالبي وبراثني . وما كان لي من سبيل لتمام الاستمتاع بهذه الغنيمة التي صارت إلى يدي، سوى أن أتظاهر بمعرفة المخطوط، وبعلم ما في الكفوف من خطوط ، إلى دعوى الاحاطة بعلوم الأولين والآخرين ، وإنما أردت بعد أن صارت في يدي تلك الحمامة أن أكون على الأقل مثل « عراف اليمامة »[٢] .

---

(١) في ذلك اشارة الى قول الشاعر القديم :

تكاثرت الظباء على خراش فما يدري خراش ما يصيد

(٢) اشارة الى قول الشاعر الآخر :

جعلت لعراف اليمامة حكمه وعراف حجر إن هما شفياني

فقالا : شفاك الله ، ما لنا بما حملت منك الضلوع يدان

هكذا صار أحمد زكى عالماً بالكف رغم أنفه . . . وللضرورة أحكام قاسية ، لكنها فى هذه المرة كانت لطيفة ومؤاتية .

سبحان من قسم الحظ وظ ، فلا عتاب ولا ملامة

قلت له : زدنا بياناً يا فتى العروبة ، أدام الله لك الصحة والقوة والفتوة ، فقال :

لا أطيل عليك ، فهذا شباب ! وللشباب حديث طويل ، كلما استطلته طال . وبحسبى أن أقول لك : إننى حين لامست هذه اليد ، سرى فى جسدى تيار كهربائى ، ارتجفت له كل أعصابى ، واهتزت منه مشاعرى وأوصالى ، وكان فى هذا التيار نور إلى جانبه نار . . .

كانت الساعة رهيبة ، وكانت المحنة شديدة : فماذا أفعل ؟ لجأت إلى حيلة وسوس بها الشيطان الخناس ، فكان فيها بعض الخلاص ، ذلك أننى قلت للمجتمعين والمجتمعات : سأصدقكم القول ، لكن لى شروطاً : أولها أن تكون الشمس بازغة ، حتى أتبين الخط الملتوى من الخط المستقيم على ضوء النور الربانى . وثانيها أن يكون حديثى مقصوراً على مقصورات الطرف . وثالثها أن التى تريد معرفة ماضيها . . . وحاضرها . . . ومستقبلها . . . تبدأ بدفع الاتاوة المقدسة ، وهى من رمز الشمس أى البياض ، بما لا يزيد على نصف شلن من الفضة المسكوكة ، أما الذهب فهو أصفر العين ، ولا قيمة له عند معاشر العرافين ! ورابعها أن يعلم الحاضر والغائب أننى لا أعتقد هذا العلم ، ولا أصدقه ، وأننى إنما اقرأ ما أراه فى الخطوط ، كما أنكم تقرءون كتب المجوس ولا تصدقونهم .

فوافق الجميع ؛ وكانت حيلة منى لكى يتسع لى الوقت للتفكير فى الأمر ، وتدبير المكر .

وهنا أدرك « فتى العروبة » شبه الصباح ، فسكت عن الكلام المباح ؛ لكننى عاودته واستدرجته بإسم شبابه الدائم ! حتى باح بما فى جعبته من أسرار الملاح ، قال :

* * *

كانت الساعة رهيبة ، وكانت المحنة شديدة ، وفى صباح الغد ، لم تتخلف واحدة من أوانس الأمس وعقائله ، بل زاد عددهن بسرب من الصويحبات الصباح .

وقد كنت أمضيت ليلتى فى الاستعداد بطريق الاستمداد ، ذلك أننى حصرت ما فى الوجود من أمانى النفس ، ورغبات الفؤاد ، وملهيات الأحاسيس ، وآمال الانسانية فى مراحلها المتعددة . فوجدتها ، على اختلاف ألوانها ، وتعدد فنونها ، لا تخرج عن أمر من أمور الحب والزواج ، أو طول الأجل وكثرة الأمل ، أو طيب الرفاهة والتهافت على طلب المال ، إلى ما فى طبيعة الناس من السعى وراء السعادة والكدح لاجتناب الشقاء ، أو صرف الهمة إلى الجاه

والعظمة ، إلى ما هنالك من سائر أنواع الطموح .

فكنت كلما تناولت كفاً ناعمة ، تجسست النبض هنا وهناك ، ثم أخذت أتوسم الوجه ، وأستشف الملامح ، وأحدق النظر فى الأسارير ، وأستشرف ما وراء العين ، ثم ألقى بكلمة حيثما كانت ، وكيفما اتفقت ، أى كما تخطر على البال من غير تفكير ولا روية ، لكنها كانت عفو الخاطر . فكنت أترجم عما يلابس الأطفال من أحوال ، فاذا صادفت ارتياحاً ، انتقلت إلى ما قد يحصل عادة للفتاة فى خدرها ، ثم فى مدرستها ، ثم فى مخالطاتها لأترابها . فكان لى مجال فسيح فى القول والتقول ، وفى الكهن والتكهن .

* * *

فقلت : وكيف أمنت يا أستاذ الوقوع فى الخطر ؟ فقال :

من أعجب العجب أنى كنت صادقاً فى كل تخرصاتى ، موفقاً فى كل تكهناتى .

فمن فتاة شيطانة كادت فى صباها تحرق بيتها بشمعة ، بينما هى تقرأ الرواية الغرامية فى خلسة من أبويها ، إلى فتاة خبيئة فى المدرسة ، إلى أخرى خانتها صديقتها . إلى رابعة عبث بها صاحبها فهجرها بعد أن أفرغت له قلبها دون شىء آخر ، إلى كل ما هو عادى مألوف لكل إنسان وإنسانة .

فهذه وصلها خطاب رفيق رقيق منذ أسبوع ، وتلك سترقص الليلة مع فتى تهواه ويهواها فيحول العذول دون إتمام الرواية ، وهذه زوجة مات لها ولد فكادت تموت فأتاح الله لها فرصة السلوى بصديق يخدم الانسانية بكل ما فى وسعه ! إلى والدة أخرى ضحت حياتها من أجل ولدها فكان جزاؤها منه العقوق .

أما هذه السيدة فيجب عليها أن تشترى رابع ورقة يانصيب من رابع بائع تراه أمام البيت الرابع فى الشارع ، بشرط أن يكون فى الساعة الرابعة بعد ظهر يوم الأربعاء .

وهكذا وهكذا من أباطيل الاختراعات ، ومن اختراعات الأباطيل .

* * *

فقلت : لا شك أن « فتى العروبة » أصاب حظاً طيباً من المال والجمال ؟

فقال : رحم الله تلك الأيام ! فقد كانت لى جلسات ممتعات فى كل بهو وردهة ، وكنت لا أفتح البخت إلا للصبايا ، وكان نجاحى — فى أكثر الأحيان — منوطاً بالخادم ، فانها بعد انتهاء كل جلسة كانت تقبض ما يجتمع أمامى من أنصاف الشلنات والشلنات الكاملة ، فكانت لها مصلحة فى أن تكون لى خير معوان . نضر الله وجهها البسام !

ويظهر أن بعض الرجال حسدنى على ما نالنى من إعجاب الأوانس والعقائل ، فقامت مؤامرة ! ففى ذات صباح ، أجمعت الكواكب على أن تعرف الأسرار لكوكب آفل فى شخص عجوز قد أكلت الدهر وشربت عليه : خلقة شوهاء ، وعظام بتراء ، وسحنة خرقاء ، ودردبيس فوهاء ، وأنوثة عجفاء ، عينان جاحظتان ، ومنخران واسعان ، ليس إلى قاعدتهما من قرار ،

ولا إلى احتيال يخز الأشداق من فرار ! فأحاطني الأسى بجلبابه ، وحط على الهم بكلكله ؛ لكن إبليس تراءى لى فى شكل قطة سوداء ، مرقت كالسهم الخارق ، وإذا بوسوسة خبيثة دارت فى خلدى ... فقلت لجدة جداتى : « أرى أنك قتلت ولدك ، ياستى ... » .

وإذا بتلك الثغور الباسمة تتضاحك فى خبث ومرح ، وتتطارح فى دلال وخفر ، وتتغامز بسخرية وفرح . فكدت أذهل وأفشل ، وتحققت وقوعى فى الخطأ والخطل ، لكن الكواعب الأتراب رثين لحالى ، فبادرن لإسعافى بقولهن :

« فى هذه المرة ، كذبك علمك وخانتك قراءتك . أم كيف تحدثنا بأن هذه الآنسة قتلت وليدها وهى لاتزال بختم ربها ؟ » .

على أنى صممت وأصررت ، وتبلدت وتجلدت ، وتشددت وتعندت ؛ إلى أن كابرت وكاذبت وألححت . . .

هل رأيت الصخرة الصماء تتحول عن مكانها ، مهما هاجتها الرياح ، أو لاطمتها الأمواج ؟ أردت أن أنتهى من هذه المهزلة ، بعد أن قد ظفرت بما أريد ، وبكل ما أشتهى ، وبعد أن فرغت من تمثيل الدور الذى اندفعت إليه لحاجات فى نفس يعقوب .

وإذا بالأمر غير المنتظر ، وإذا بالداهية الدهياء ، وإذا بالعجوز الشمطاء ، تقول لى بشجاعة وفى سيل من الدموع ووابل من العبرات : سيدى ؛ أنت صادق ، وقراءتك حق ! فقد أغوانى شيطان من شياطين الانس ؛ وما راحت السكرة وجاءت الفكرة ، حتى ظهرت الثمرة المرة فخنقت بيدى حشاشة كبدى . . .

وكان منها بكاء ، وكان منهن استغراب ، وكان منى خجل واستحياء ، فيالله خار الانتصار .

***

فقلت لفتى الدروبة فى ذلك العهد البعيد :

« لاشك أن منزلتك قد علت عند القوم ، بعد ذلك اليوم ؛ فهل واصلت استغلال الموقف أم تحرجت فتراجعت » ؟ فقال :

قاتلك الله ياخبيث ! لكأنك على نية التآمر على أنت وقراؤك ؟ لكن بالرغم منك أقول لك : إن الله لم ينعم بالسذاجة على الشرقيين وحدهم ، بل التدجيل بالسحر والأباطيل أمر شائع ذائع عند الافرنج ، كما كان فى بابل ومنف ، وكما هو فاش فى فاس وتلمسان ، وكما هو ذائع فى النوبة والسودان ، وكما هو مستقر فى اليمن والشام ؛ حتى مطلع الشمس .

فقلت : بالله حدثنا عما قد يكون حصل بعد ذلك .

فقال : إن الرجال الذين كانوا يحضرون هذه الاجتماعات ، قد أخذتهم الغيرة ، فجاءنى

حدهم : (وكان ناظر مدرسة الهندسة ، أو من كبار أساتذتها على ما أذكر) ، فقال لى : أأنت مؤمن بهذا العلم ؟ فقلت : كلا ، ولكنى أقرأ ما أراه مسطوراً على الكف بتأثير المخ على الأعصاب ، من الحوادث التى تقع لصاحب الكف ، وقد توصل الأقدمون إلى هذه النتائج بطريقة الاستقراء . وأنت أنت تقرأ ديانة البراهمة والبوذيين والوثنيين ، وتفهم معانيهم ومراميهم ، فهل أنت مصدق لهم ؟ !

وبهذه المناوبات ، وبتلك المحاولات ، ازداد الرجال حقداً فأغروا السيدات ؛ فأجمعن أمرهن على أن أخالف القاعدة مرة واحدة ، فأتناول لقراءة كف رجل واحد ، وقع عليه أختيارهن بالإجماع .

فصدفت وتمنعت ، لكنهن أصررن إصراراً ، وحددنني بالصد والاعراض ، ثم تراجعن إلى الرجاء ، وأنت تعلم قول الفرنساويين : « إن ما تريده المرأة يريده الله » فكيف بى وقد اجتمعت كلمة النساء ؟ إذن ، لا مناص ولا خلاص ، والأمر لله ... أمسكت بيد الرجل (وأنا أريد أن أخنقه) ثم نظرت فى وجهه ، وحدثتنى نفسى بأن للانكليز مستعمرات لا تغرب عنها الشمس ، وأنهم مفطورون على اقتحام الأخطار ، وعلى السفر فى البحار ، والتنقل فى البرارى ، والتوغل فى المهامه ، والتوقل فى الجبال . وإذا بلسانى يندفع فيقول ، من حيث لا أشعر :

لقد سافرت يا سيدى . . . وسافرت سفراً بعيداً . . . ولم يكن . . . . سعيداً . . . . .

وهنا بدت على وجوه الحاضرات علائم الارتياح لقولى ، فتشجعت ، وقلت له :

إنك لاقيت تعباً ، وتجشمت مشقة ! . . . كان سفراً بعيداً . حللت فى البلد النائى محلا رفيعاً ... أحرزت فى آخر الأمر ثروة طائلة ... أوه يا عزيزى ... لقد كنت فى الهند...!! أليس كذلك . . ؟ ثم غرقت السفينة ، فضاعت كل أموالك .

وهنا زاد القوم إيماناً وزدت تضليلا . وقد كان ذلك من ضلال الشباب فاتركنى يا خبيث .

* * *

وأنا أقسم بالله أنه لم يحصل شىء سوى جس النبض ، ولم أقع فى محظور لا يرضاه الشرع ، بل كان شيطان الشباب كله فتنة ، وكله إغراء وطيش ، دون أن يكون وراء ذلك خطيئة تدعو إلى الاستغفار ، والله على ما أقول شهيد ؛ وهو حسبى ونعم الوكيل .

* * *

وإلى هنا أمسك عن الكلام ، وعاد إلى الانابة والاستغفار .

فأسرعت بالخروج من بين يديه ، وجلست إلى مكتبى لتسطير هذه الذكريات الطريفة قبل أن يذهب شبحها ، أو تضيع كلماتها . ولعل شيخ العروبة لا يغضب على فتى العروبة ، ولا على صديقه .

ع ...